المفعول المطلق بين الشكل والدلالة - دراسة في كتاب فتح الإله ومنته لأبي راس الناصري-

محمد بزينة*
[1] جامعة احمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت (الجزائر) .
mohamed.bezzina@univ-tissemsilt.dz

الإرسال: 2026/06/20 القبول: 2026/09/01 النشر: 2026/09/15.

الملخص:
يتناول هذا البحث ظاهرة نحوية مهمة في كتاب أبي راس الناصري ، وهي المفعول المطلق في كتاب فتح الإله ومنته ، ويدرس هذا البحث هذه الظاهرة من خلال نماذج تطبيقية تبيّن أنواع المفعول المطلق في هذا الكتاب ، يُدرس من زاويتين متكاملتين: الشكل والدلالة. من حيث الشكل ، يبرز موقعه النحوي وصوره المتنوعة مثل المصدر المؤكد للفعل والمبيّن للنوع والمبيّن للعدد ، مما يعكس مرونة التركيب العربي ودقة القواعد .أما من حيث الدلالة ، فهو يؤدي بدور أساسي في تقوية المعنى وتوكيد الفعل ، أو تحديد نوعه وعدده.
تتحدد إشكالية هذا البحث في التساؤل عن ما طبيعة المفعول المطلق في كتاب فتح الإله ومنته بين وظيفته الشكلية النحوية والدلالية ، وكيف يسهم هذا التداخل في بناء المعنى ؟
توصلت الدراسة إلى أن المفعول المطلق يضفي على النصوص القرآنية والأدبية إيقاعًا بلاغيًا وجمالية أسلوبية ، والمفعول المطلق ليس مجرد قاعدة جامدة ، بل هو أداة لفهم عمق النص العربي.
الكلمات المفتاحية: المفعول المطلق ، الشكل ،الدلالة ، أبو راس الناصري ، المصدر.

* المؤلف المرسل.

The Absolute Object Between Form and semantics: A Study of the Book Fath al-Ilāh uwa Mntuh by Abi Rās al-NāṢiri.

Abstract: This research explores the grammatical phenomenon of the absolute object (al-mafʿūl al-muṭlaq) in Abu Ras al-Nasiri Fath al-Ilah wa-Munttah. Through applied examples, the study examines the various types of the absolute object from two complementary perspectives: form and meaning. Formally, it highlights its syntactic position and diverse structures, such as the source used to emphasize the verb, specify its type, or indicate its number, reflecting the flexibility and precision of Arabic syntax. Semantically, the absolute object plays a crucial role in reinforcing meaning, emphasizing the verb, and defining its type and quantity. The central problem addressed is the dual nature of the absolute object between its syntactic and semantic functions, and how this interplay contributes to meaning construction. The findings reveal that the absolute object enriches Qur'anic and literary texts with rhetorical rhythm and stylistic elegance, serving not merely as a rigid grammatical rule but as a key tool for understanding the depth of the Arabic text.

Key words: absolute object, form, meaning, Abu Ras al-Nasiri, infinitive (maṢdar).

.

1- مقدّمة:

إن اللغة العربية لها قواعد مخصوصة في الكلام و الكتابة كاللغات الأخرى. و بالقواعد يتجنب المتكلم الزلل وتعلمه صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي ، وفهم القرآن الكريم فهما صحيحا ، ومن هذا سنبحث عن علم النحو ، خاصة المفاعيل وهي في اللغة العربية خمسة: المفعول به ، المفعول لأجله(ويسمى المفعول له) ، و المفعول فيه(ويسمى أيضا بالظرف) ، المفعول معه ، والمفعول المطلق (ويسمى المصدر) ، هذا الأخير هو موضوع بحثنا ، الذي تحت عنوان" المفعول المطلق بين الشكل و الدلالة- دراسة في كتاب فتح الإله ومنته لأبي راس الناصري-".

وتطرح الدراسة إشكالية رئيسية تمثلت فيما يلي: ما طبيعة المفعول المطلق في كتاب فتح الإله ومنته بين وظيفته الشكلية النحوية والدلالية ، وكيف يسهم هذا التداخل في بناء المعنى ؟.

وانطلاقا من هذه الإشكالية ، تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

ما مفهوم المفعول المطلق؟ و فيما يتمثل دوره في البناء التركيبي؟ وما هي أنواع المفعول المطلق التي وردت في كتاب فتح الإله ومنته ؟.

وكفرضية أولية لإشكالية هذه الدراسة أن المفعول المطلق في هذا الكتاب لا يقتصر على وظيفته الشكلية النحوية ، بل يتجاوزها ليؤدي دورا دلاليا وبلاغيا.

وبناءا على ذلك يهدف المقال إلى:

- تحليل بنية المفعول المطلق في كتاب فتح الإله ومنته وتحديد أنواعه.
- الكشف عن الوظائف الدلالية التي يؤديها المفعول المطلق في تشكيل المعنى.
- إظهار أهمية الدرس النحوي والصرفي في تحليل النصوص الأدبية.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي القائم على التحليل، لأننا بصدد دراسة ظاهرة لغوية نحوية تستدعي الوصف والتحليل، حيث يتم استقراء المفعول المطلق الوارد في هذا الكتاب مع تحديد أنواعه، ثم تحليل وظيفته الدلالية.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مقدمة وثلاثة مطالب، المطلب الأول: المفعول المطلق من حيث الشكل، والمطلب الثاني: المفعول المطلق من حيث الدلالة، أما المطلب الثالث: دراسة المفعول المطلق في كتاب فتح الإله ومنه، ثم نتائج البحث ومقترحاته.

المطلب الأول: المفعول المطلق من حيث الشكل:

1- تعريف المفعول المطلق:

تعددت تعريفات النحاة للمفعول المطلق، في ما يلي جملة من التعريفات التي ذكروها في مؤلفاتهم:

فقد عرّفه ابن يعيش بقوله: " هو المصدر سمي بذلك لأن الفعل يصدر عنه، ويسميه سيبويه الحدث أو الحدثان وربما الفعل، وينقسم إلى مبهم مثل: ضربت ضربا، وإلى مؤقت نحو: ضربت ضربة وضربتين ".[1]

ووافقه الزمخشري في تعريفه للمفعول المطلق؛ فعرفه بأنه: " المصدر".

والملاحظ هنا أن المفعول المطلق هو المصدر ، وذلك راجع إلى أن الفعل يصدر عن المفعول المطلق.

2. تسمية المفعول المطلق:

إن المفعول المطلق من خلال تسميته أنه مفعول غير مقيد، لا يتلوه حرف جر أو نحوه خلافا لغيره من المفعولات، كالمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول لأجله؛ وهذه المفاعيل لا ترد إلا مقيدة. وهذا ما أطلقه النحاة على هذا النوع من المفعول اسم المفعول المطلق، لأنه يرتبط بالفعل مباشرة دون الحاجة إلى وساطة حروف الجر، فالمفعول الذي لا يتعدى إليه الفعل بواسطة حرف جر يسمى مفعولا به مقيدا، بينما الذي يتعدى إليه الفعل بلا واسطة يعرف بالمفعول المطلق، وهذا الحكم ينطبق أيضا على المفعول معه.[2]

فنستطيع القول أن المفعول المطلق هو من العناصر النحوية التي تسهم في تحديد طبيعة الفعل من حيث نوعه وتوضيح معناه ، إذ يستخدم لتقييد الفعل من حيث نوعه أو عدده أو غير ذلك من الخصائص التي تبرز كيفية وقوعه ، فهو يوضح هيئة الفعل أو مقدار حدوثه ، مما يمنح الجملة دقة في التعبير ويبرز المفصود منها على نحو أكثر وضوحا.

3. أنواع المفعول المطلق

إن المفعول المطلق في النحو العربي يأتي إما لتوكيد عامله وإما لبيان عدده أو نوعه ، وهذا ما تطرق إليه ابن مالك إلى أنواع المفعول المطلق في ألفيته.

فالمفعول المطلق يقع على ثلاثة أحوال كما تقدم:

1.3. أن يكون للتأكيد: نحو ضربت ضربا ، فضربا: مفعول مطلق مؤكد للمصدر الذي تضمنه الفعل المذكور وهو ضرب.

و المراد بالتأكيد هنا المصدر الذي هو مضمون الفعل بلا زيادة شيء عليه من وصف أو عدد وهو في الحقيقة تأكيدا لذلك المصدر المضمون ؛ لكنهم سموه تأكيدا للفعل توسعا.

فقولك: ضربت بمعنى أحدثت ضربا ، فلما ذكرت بعده ضربا صار بمنزلة قولك: أحدثت ضربا ضربا ، فظهر أنه تأكيدا للمصدر المضمون وحده ، لا للإخبار والزمان اللذين تضمنهما الفعل.

2.3. أن يكون لبيان النوع ، نحو: سرت سيرا حسنا ، سرت سير ذي رشد.

3.3. أن يكون لبيان العدد ؛ نحو: ضربت ضربة وضربتين وضربات.[3]

وهذا النوع من المفعول المطلق - المبين للعدد- اصطلح عليه كذلك بالمصدر المختص أو المؤقت مثله مثل المفعول المطلق المبين للنوع.

وعليه يمكن القول أن المفعول المطلق يأتي لتأكيد عامله ، أو لبيان نوعه ، أو لبيان عدده ، والمفعول المطلق عند بعض النحويين ينقسم إلى قسمين ؛ القسم الأول يسمى المصدر المبهم وهو ما يأتي ليؤكد عامله ، فهو لا يثنى ولا يجمع ، أما القسم الثاني يسمى المصدر المختص أو المؤقت ، وهو ما يأتي لبيان النوع و العدد ، وهو عكس الأول أي ؛ يثنى و يجمع.

3.النائب عن المفعول المطلق:

ينوب عن المفعول المطلق — فيعطى حكمه في كونه منصوبا على انه مفعول مطلق — اثنا عشر شيئا:[4]

1- اسم المصدر: نحو: أعطيتك عطاء ، اغتسلت غسلا ، كلمتك كلاما.

2- صفته: نحو: سرت أحسن السير ، واذكروا الله كثيرا.

والأصل سرت سيرا أحسن السير. واذكروا الله ذكرا كثيرا ، حذف المفعول المطلق فقامت صفته.

3- ضميره العائد عليه: نحو: اجتهدت اجتهادا لم يجتهده غيري. أي: لم يجتهد الاجتهاد المذكور ، فالضمير عائد إلى المصدر المذكور وهو في محل نصب على أنه مفعول مطلق.

4- مرادفه- بأن يكون من غير لفظه ، مع تقارب المعنى- نحو: قمت وقوفا ، رضته إذلالا وأعجبني الشيء حبا. أي: إذا أعجبك الشيء فقد أحببته وإذا أحببته أعجبك.

5- مصدر يلاقيه في الاشتقاق: نحو: قوله تعالى:"وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا"[نوح الآية :17]

6- ما يدل على نوعه: نحو: رجع القهقري و قعد القرفصاء.

7-ما يدل على عدده: نحو: أنذرتك ثلاثا و منه قوله تعالى: " فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَة ".[النور الاية4]

8- ما يدل على آلته التي يكون بها: نحو: ضربت اللص سوطا ، أو عصا

9- ما وأي الاستفهاميتان: نحو: ما أكرمت خالدا؟ فما : اسم استفهام في محل نصب مفعول مطلق مقدم لأكرمت. والمستفهم عنه المصدر. المعنى :أي إكرام أكرمت خالدا ؟

ومنه قوله تعالى:" وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ"[الشعراء الآية:227]

10- ما ومهما وأي الشرطيات: نحو: ما تجلس أجلس. ما اسم شرط جازم يجزم فعلين وهو في محل نصب مفعول مطلق لتجلس والمعنى: أي الجلوس تجلس أجلس. ومهما تقف أقف وأي سير تسر أسر.

11- لفظ كل وبعض وأي الكمالية ، مضافات إلى المصدر: نحو: فلا تميلوا كل الميل و سعيت بعض السعي و اجتهدت أي اجتهاد.

وسميت أي هذه بالكمالية ، لأنها تدل على معنى الكمال. وهي إذا وقعت بعد النكرة كانت صفة لها ، نحو: خالد رجل أي رجل ، أي: هو كامل في صفات الرجال ، وإذا وقعت بعد المعرفة كانت حالا منها ، نحو: مررت بعد الله أي رجل .

وعليه يمكن القول أن المفعول المطلق – كما قلنا – هو المصدر الذي يأتي لتأكيد عامله أو بيان نوعه أو بيان عدده ، وقد عرفت اللغة العربية استعمالات كثيرة أحصاها النحاة على أنها اثنا عشر حالة وهي كلمات قالوا عنها إنها تنوب عن المصدر.

المطلب الثاني: المفعول المطلق من حيث الدلالة.

1.2. مفهوم الدلالة:

أطلقت عليها عدة أسماء في اللغة في اللغة العربية فيعضهم يسميه علم الدلالة وتضبط بفتح الدال وكسرها وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك أخذا من الكلمة الانجليزية أو الفرنسية ، وبغضهم يسميه علم المعاني. وعليه فالدلالة هي فرعا أساسيا من فروع علم اللغة ، فهي العلم الذي يعنى بدراسة المعنى ونظرياته ، بالإضافة إلى بحث الشروط والخصائص الواجب توفرها في الرمز أو الكلمة لكي تتمكن من أداء وظيفتها في فهم المعنى وإيصاله[5].

وبالتالي فعلم الدلالة هو فرع من فروع علم اللغة حيث أنه يقوم بدراسة المعنى.

وعرّفت بأنها: " كون الشيء بحالة يلزم العلم به العلم بشيء آخر ، الأول الدال ، والثاني المدلول".[6]

ومن خلال هذا القول يتبيّن أن العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى) هي تلك الدلالة التي تر بط بينهما.

2.2. موضوع علم الدلالة:

من خلال تعريف علم الدلالة بأنه ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى ، يتبيّن لنا أن موضوع علم الدلالة أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز ، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق وقد تكون إشارة باليد ، إيماءة بالرأس ومثال ذلك: حمرة الوجه تدل على الخجل ، التصفيق دلالة الاستحسان.[7]

وبالتالي موضوع علم الدلالة هو الرمز أو العلامة الغوية أو غير اللغوية.

3. علاقة السياق بدلالة المفعول المطلق

إن للكلمة أكثر من معنى واحد ،و تظهر دلالتها من خلال القرائن الدالة عليها ، و السياق واحد من هذه القرائن إذ يعمل على التفريق بين المعاني. وقبل أن نحدد علاقة السياق بدلالة المفعول المطلق لا بد من تعريف السياق.

1.3. تعريف السياق:

لم تكن اللسانيات النصية وحدها من اهتم بالسياق بل كان محور اهتمام اللسانيات بصفة عامة ، والمعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح فيصعب تحديده تماما ، ونجد له في مؤلفات اللغة عدة تعريفات وحدود.

فهو في معناه العام: " النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ".[8]

وعليه يمكن القول أن معنى الكلمة أو الوحدة اللغوية لا ينكشف أو يتحدد إلا من خلال وضع هذه الوحدة اللغوية في سياق ، أي أن معنى الكلمة هو استعمالها في السياق.

2.3. دلالة المفعول المطلق:

حسب التعريفات التي سبق وذكرناها عن المفعول المطلق فإنها تبين أن هذا الأخير- المفعول المطلق- يدل على التأكيد ، وتبيين النوع والعدد وقد يتجاوز المفعول المطلق هذه الدلالات إلى دلالات أخرى إذا حذف عامله (الفعل) ماعدا المؤكد فلا يجوز حذف عامله لأنه جيء به في الأصل لتقوية معناه والحذف هنا ينافي أصل ما وضع له .

يقول ابن مالك:

وحذف عامله المؤكد امتنع وفي سواه لدليل اتسع .[9]

- التأكيد: أو التوكيد وهو تابع يؤتى به تثبيتا لمتبوعه ، في اللغة يسمى اللاحق ، ويعتبر من الأساليب العربية في تقوية الكلام و أثره في نفس السامع ، يتبع متبوعه في الإعراب ، وهو نوعان: توكيد لفظي وتوكيد معنوي.

التوكيد المعنوي: يكون بذكر واحدة من الألفاظ الآتية:(نفس ، عين ، جميع ، عامة ، كلا ، كلتا ، كل) واعتبرت هذه أصلية إذ هناك ألفاظا فرعية: اجمع ، جمعاء ، أجمعون ، جمع.

وفائدة التوكيد بنفس وعين رفع السهو والنسيان والمجاز ، وفائدة التوكيد بكل وجميع و عامة الإحاطة والشمول ، وبكلا و كلتا إثبات الحكم للاثنين.[10]

تستخدم هذه الألفاظ لتوضيح المعنى وتأكيده دون تكرار.

التوكيد اللفظي: يكون بتكرار المؤكد بلفظه أو بمرادفه نحو: محمود محمود أقدم ، لا لا تتأخر ، قم قم يا فؤاد. وفائدة هذا التوكيد أنه يقرر المؤكد في نفس السامع ويمكنه في قلبه ، ويزيل الشبهات.[11] يعني ذلك أن التوكيد اللفظي يستعمل لتثبيت المعنى بشكل مباشر

وبذلك يكون الفرق بينهما في كون التوكيد اللفظي يقوم على التكرار ، بينما المعنوي يقوم على ألفاظ مخصوصة تؤدي وظيفة التوكيد.

قال الشاعر محمد السيامي:

واغفر ذنب امرئ إذا زل زلة إذا ما أتاها كارها غير طائع

زلة :مفعول مطلق منصوب ؛ مؤكد لفعله- زل – أما البعد الدلالي فهي تؤكد أن الشخص إذا أخطا وارتكب شيء وهو كاره ومضطر فلا بد من التغاضي عنه وعليه تتمثل دلالته على التأكيد من اجل تقوية الكلام.

- ما يدل على نوعه نحو: رحل المستعمر رحيل الذليل.

رحيل: مفعول مطلق دلت على بيان نوع العامل -رحل- ومعناها رحل رحيلا مثل رحيل الذليل.

- ما يدل على عدده نحو: يطوف الحجاج سبع طوافات.

سبع: مفعول مطلق دلت على بيان عدد الطوافات التي يقوم بها الحجاج.

3.3. دلالة المفعول المطلق عند حذف عامله:

1-إذا كان المصدر دالا على أمر: مثل :صبرا على الظالم

صبرا: مفعول مطلق دلت على القيام بالأمر وهو الصبر ؛ أي: اصبر صبرا على من ظلمك.

2-إذا كان المصدر دالا على نهي: مثل: اجتهادا لا كسلا.

اجتهادا: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره اجتهد.

بحيث دل على نهي القيام بفعل غير مرغوب فيه والكسل وطلب الاجتهاد. أي: دلت على النهي.

3- إذا دل على دعاء: "سقيا لك " ، طلب الدعاء من الله سبحانه وتعالى لسقيتك ، أي: دلت على الدعاء وتقديرها "سقاك الله".

4- مصادر سمعت للدعاء و أهملت أفعالها في الاستعمال وهي "ويله ، ويحه ، " هذه المصادر تعرب مفعول مطلق دالة على الدعاء شرطا ألا تدخل عليها أداة التعريف (أل) فإذا دخلت عليها تعر ب مبتدأ أو خبر مثل: ويل الظالم ، الويل: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

5- مصادر مسموعة عند العرب جرت مجرى الأمثال وكثر استعمالها "الحمد لله" أي ؛ احمد الله حمدا وتأتي في مقام شكر وعرفان الله سبحانه و تعالى.

6- إذا ناب المصدر عن فعل استند لاسم عين ، أي: اخبره وكان المصدر مكررا أو محصورا

-التكرار: زيد سيرا سيرا والتقدير: زيد يسير سيرا ، فحذف يسيرا وجوبا لقيام التكرار مقامه.

- الحصر: مثل: ما زيد إلا سيرا ، والتقدير ما زيد إلا يسير سيرا ، فحذف يسير وجوبا لقيام لما في الحصر من التأكيد القائم مقام التكرير ، فان لم يكرر أو يحصر لم يجب الحذف.

4. أثر المفعول المطلق في المعنى:

من خلال هذه الدراسة اللغوية للمفعول المطلق بأنواعه الثلاث و أحكامه الخاصة بالحذف ، نستكشف أن لهذه الخاصية النحوية أثر كبير على المعنى ودور كبير في جمال الأسلوب كذلك.

فالمفعول المطلق المؤكد يعمل على تقوية العامل وتقرير معناه في النفس بتكريره إذ يرفع توهم المجاز عنه ، وهذا ما ذكره عباس حسن حيث قال: (قيد يكون الغرض من المصدر المنصوب امرأ واحدا ، هو أن يؤكد- توكيدا لفظيا –معنى عامله المذكور قبله ، ويقويه ويقرره ؛ أي: يبعد عنه الشك واحتمال المجاز ويتحقق هذا الغرض بالمصدر المنصوب المبهم ، نحو: بلع الحوت الرحل بلعا ، طارت السمكة في الجو طيرانا).[12]

و البلاغة تقتضي أن يكون استعمال المصدر المبهم مقصورا على الحالة التي يكون فيها معنى عامله أو موضع غرابة أو شك ؛ فيزيل المصدر المبهم تلك الغرابة وهذا الشك ، كالأمثلة التي عرضناها.

فليس من البلاغة أن يقال قعدت قعودا – أكلت أكلا ، ما دام الفعل: قعد أو أكل ليس موضع غرابة أو شك ، نعم التعبير صحيحا لغويا ، ولكنه ركيك بلاغيا.

أما مثل: طارت السمكة طيرانا فالبلاغة ترضى عن مجيء المصدر المبهم ؛ لغرابة معنى عامله و تشكيك السامع في صحته.[13]

أما المبين للنوع و العدد فيخصص الفعل تخصيصا واضحا ، لأنه يقيده بهيئة أو عدد ، فيصبح بهذا القيد جنسا قائما بذاته متميزا عن المقيد.

وإن من أهم أغراض نيابة المصدر التوسع في المعنى ؛ فالإتيان بنائب مصدر قد يوسع المعنى توسيعا لا يؤديه ذكر المصدر ، و ذلك كالمجيء بصفة المصدر بدلا منه. فربما احتمل المعنى جديدا لم يكن ذكر المصدر يفيده.[14]

وفضلا عن كل ما يضفيه المفعول المطلق من زيادة بيان وإيضاح للتعبير وإثرائه ، يمكنه أن يلعب دورا مهما في تصوير الحدث والعناية بهيئة وقوعه ، ومن شأنه التعبير عن المبالغة وحتى التشبيه ، وذلك بتوظيف أنواعه الثلاث إلى جانب المصدر.

المطلب الثالث: دراسة المفعول المطلق في كتاب فتح الاله ومنته.

1. نبذة تعريفية بكتاب "فتح الإله ومنته" وقيمته العلمية:

يُعدّ كتاب «فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته» للعلامة المؤرخ واللغوي الجزائري أبي رأس الناصري المعسكري (ت: 1238هـ / 1823م) أحد أهم ذخائر النتاج النثري والتوثيقي في الغرب الجزائري إبان العهد العثماني.

والكتاب في أصله يندرج ضمن الفنون المتقاطعة بين السيرة الذاتية العلمية (الأوتوبيوغرافيا) وأدب التراجم والفهارس ؛ حيث لم يقصره المصنف على سرد محطات حياته الشخصية ، بل جعله ديواناً حافلاً لتوثيق الحالة الثقافية والاجتماعية والتعليمية في الحواضر الجزائرية كمعسكر ، وتلمسان ، والجزائر العاصمة.

وتستند القيمة المعرفية والمنهجية لهذا المصنف إلى محددات أساسية تجعل دراسته النحوية ذات أهمية بالغة:

- الارتكاز على مذهب "التحدث بالنعم": صاغ المصنف كتابه مدفوعاً بتقليد علمي سار عليه جهابذة العلماء (كالسيومي في مصر والزبيدي) ، وهو تقييد العلوم والرحلات من باب الشكر والتحدث بنعم الله ، مما أضفى على لغته طابعاً يجمع بين الرصانة التعليمية والتدفق الوجداني.

- التوثيق للأسانيد والمرويات: يمثل المتن ثبتاً وفهرسة دقيقة لشيوخ المصنف ، وطرق إجازاتهم ، ومناهج تدريسهم ، مما يجعله مرآة للغة العلمية السائدة في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري.

التنوع الأسلوبي واللغوي: تمتاز لغة أبي رأس الناصري في هذا الكتاب بالبناء السردي المحكم ، والميل أحياناً إلى المحسنات البديعية كالسجع غير المتكلف لخدمة أغراض المدح والثناء والدعاء ، مما أتاح بيئة أسلوبية خصبة لورود التراكيب النحوية المتنوعة ، وعلى رأسها المفعول المطلق وسياقاته البلاغية.

وتظهر ملامح السيرة بوضوح في هذا الكتاب من خلال:

- التصريح بضمير المتكلم ومحطات التحصيل: كقوله في معرض رصد أسانيده ورحلاته: «وقد استفدتُ من الشيخ القاضي السيد محمد بن جعدون... حُكي لي أن طلبة (مدينة) الجزائر كلهم تلامذته»[15]، وهو ما يوثق رحلته العلمية ولقاءاته الشخصية.

- إبراز أدب الطلب والعلاقة بالشيوخ: حيث يروي تفاصيل رغبته في نيل الإجازة قائلاً: «وقلتُ له يوماً... أحببتُ أن أكون من تلامذك الراغبين في إجازتك... فكتب لي بخطه»[16].

- الاستمرار في التبويب والترجمة الذاتية الاستهلالية: حيث يربط شيوخه بمسيرته العلمية مصدراً تراجمهم بصيغ تربطه بهم شخصياً، كقوله: «ومنهم: شيخنا علم أعلام المعارف... انبسطَ في العلم بنباهته...»[17]، و«ومنهم: شيخنا ذو الرأي النير الصفي...»[18].

2. شواهد المفعول المطلق وما ينوب عنه في كتاب فتح الإله ومنته:

زخر كتاب فتح الإله ومنته بالعديد من الاستعمالات النحوية للمفعول المطلق وما ينوب عنه ، وجاءت لتؤدي وظائف دلالية وبلاغية متنوعة في سياق السرد والمدح والثناء :

1/- المفعول المطلق المبين للنوع في الكتاب:

ورد المقيد بالإضافة أو الوصف ليوضح هيئة الحدث وكيفيته في حيوات الشيوخ المترجمين: (فودّعها وداعَ من لا يعود ، وأعرض عن العشائر والأقارب)[19]: "**وداعَ**" مفعول مطلق مبين للنوع (بسبب الإضافة)، وجاء ليرسم صورة وجدانية بليغة تعكس حقيقة الفراق والزهد التام في الدنيا ومتاعها ، ورد هذا النوع مضافاً أو موصوفاً ، ووظيفته الكشف عن هيئة الفعل وكيفية وقوعه في السياق العلمي والتاريخي

- (انقاد له العلم انقياداً تاماً)[20]: "**انقياداً**" مفعول مطلق مبين للنوع ؛ لأنه موصوف بـ (تاماً) ، ليدل على تذليل العلوم للشيخ وسهولة التحصيل عليه مبالغةً في الثناء.

-" ونفع الله به في تلك النواحي نفعا عميما"[21] ، **نفعا**: مفعول مطلق مبينا للنوع لأنه موصوف بكلمة عميما ، غرضه التأكيد على بركة هذا الشيخ وأثر دروسه وتوجيهاته التي شملت مناطق واسعة(النواحي).

- " وقرأت عليه هذا الكتاب قراءة صحيحة"[22] ، **قراءة**: مفعول مطلق مبين للنوع ، لأنه متبوع بصفة صحيحة ، غرضه هو التأكيد على جودة الضبط والتحقق عند العرض على الشيخ ، ونفي السطحية في القراءة.

-" فأسلمت عيني من طول قذها... وتدنو لها بدر السماء مناغياً" ، **مناغياً** حال مبينة لهيئة الدنو ، وجرت مجرى تبيين نوع الحدث وصورته البلاغية.

قال الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً} الآية الكريمة المستشهد بها تتضمن «فتحاً» مفعول مطلق ، وجاء الوصف «مُبيناً» ليبين نوع هذا الفتح الإلهي المعرفي.

-(فأحضر أطعمة كثيرة جافلة ، وفاكهة أثيرة نافلة) ، استعمال المصادر الموصوفة لبيان أنواع الكرم وحفاوة الاستقبال التي حظي بها المصنف في رحلته.

- (فاستوت جالساً بلا ميل ، كاستواء المأمون لما لحنه...) ، لفظة «**كاستواءِ**» مفعول مطلق مبين للنوع عن طريق التشبيه والإضافة (أي: استوت استواءً كاستواء المأمون) ، لبيان هيئة الجلوس المعتدلة الرصينة.

- " فيجلس إليه ويناظره ، فيبحث معه بحثا يثلج الصدور"[23] ، بحثا: مفعول مطلق مبينا للنوع لأنه متبوع بصفة يثلج الصدر ، غرضه بيان عمق المناقشة العلمية والارتياح النفسي واليقين الذي يترتب على مباحثة هذا العلم.

- « يا سيدي الأولى من حقه أن يسكت شيئاً ما ، عند «إسحاق» ، ثم يبتدي» ، التقدير يدور حول كيفية الوقف والابتداء في القراءة ، وجملة «أن يسكت شيئاً ما» تدل على بيان نوع السكوت وقدره.

2. المفعول المطلق المؤكد لعامله (المصدر) في الكتاب:

وظّف المصنف المصادر المؤكدة لأفعالها بكثرة في سياق حواراته العلمية السجالية ومرافعاته النقدية لإزالة الاحتمال والمجاز وتثبيت الأحداث والوقائع: (فتعجبوا من ذلك ، فقلتُ: لم تستدلوا بنقل على ذلك ، فقالوا بأجمعهم...) ، لفظة «بأجمعهم» جرت مجرى التوكيد المعنوي الشامل ، الذي يساند دلالة التوكيد الناتجة عن تكرار المفاعيل المطلقة للأقوال والمحاورات ،(وتراجعنا مراراً ، ولما سمع مني الفوائد رقائق كثيرة) ، التراجع الفكري يقتضي تأكيد الفِعل بوقوعه حقيقة ، والمصنف يعتمد المفاعيل المؤكِّدة المفهومة من سياق التفاعل والمناظرة ، (وتكلمتُ مع أديب فاس وعالمها... ركضا إلى المنافسة في قربهم) ، لفظة «ركضاً» مفعول مطلق مؤكد (أو مبين للنوع بحسب التقدير) لبيان حقيقة وشدة المسارعة والمنافسة العلمية بين شيوخ الحواضر.

- قال أبو راس الناصري:" فحفظت المختصر حفظا" ، حفظا: مفعول مطلق مؤكدا للفعل ، غرضه هو تأكيد تمكنه من المتن.

- " وفهمت فهما"[24] ، فهما: مفعول مطلق مؤكد للفعل ، غرضه هو تأكيد الاستيعاب واليقظة.

- " فوجدته أتقن المثاني إتقانا"[25] ، **إتقانا**: مفعول مطلق مؤكد للفعل ، غرضه هو تأكيد بلوغ الغاية في ضبط حفظ القرآن الكريم.
- " فالشيخ عليه النفع يدور وتكيل الأرض قدمك إليه دورا"[26] ، **دورا**: مفعول مطلق مؤكد للفعل ، غرضه هو بيان هيئة حركة المريد والانتفاع بالشيخ.

3. النائب عن المفعول المطلق في الكتاب:

تنوعت صيغ النائب عن المفعول المطلق في عدة مواضع من بينها:

- " أول شيوخي والدي الشيخ ... وأنا صغير جدا"[27] ، جدا: نائب عن المفعول المطلق تقديره(صغرا جدا). غرضه هو المبالغة في بيان صغر السن عند بداية الطلب.
- " كثيرا ما يفتح على ما صعب في مجالس أبيه" ، كثيرا: نائب المفعول المطلق(صفته) ، تقدير الكلام فتحا كثيرا ، غرضه الدلالة على سعة الفتوح الربانية والبركة في العلم.
- " فقد طلقتها بتاتا"[28] ، **بتاتا:** نائب عن المفعول المطلق ، تقدير الكلام طلاقا بتاتا ، غرضه التأكيد على القطيعة التامة والحاسمة مع الدنيا وزينتها.
- " لا يفرط في ذلك كل التفريط "[29] ، **كل**: نائب عن المفعول المطلق ، غرضه هو استغراق نفي التقصير ، أي أنه كان غاية الانضباط.
- " فلا يتساهل في حق الله كل التساهل"[30] ، **كل**: نائب عن المفعول المطلق ، غرضه استغراق نفي التفريط ، وتدل على شدة ورع الشيخ ودقته في أمور الدين.
- (وتعبتُ مرتين) ، لفظة «مرتين» نائب عن المفعول المطلق منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى ، وهو مبين لعدد مرات وقوع الفعل (التعب والمشقة في النقل والتحصيل.
- «وتراجعنا مراراً» ، لفظة «مراراً» نائب عن المفعول المطلق لأنها تدل على تكرار العدد والكثرة (أي: تراجعنا تراجعاً مكرراً مراراً عديدة.
- « واجتمعتُ مع العلماء بجامعها الأعظم ، فتذاكرنا ، وتناظرنا ، وترافعنا ، وتشاجرنا ، وتقابضنا...»: تأتي هذه الأفعال المتلاحقة في سياق يمهد لتأكيد وقوع المشاركة والجدال العلمي حقيقةً ، وهو أسلوب إنشائي يعتمد دلالة التوكيد المعنوي واللفظي للأحداث المتتابعة.

النتائج:

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن:

- المفعول المطلق هو المصدر والعكس غير ذلك.

- المفعول المطلق هو مصدر منصوب يذكر بعد فعل من لفظه.
- الغرض من المفعول المطلق توكيد معنى الفعل أو بيان نوعه أو بيان عدده.
- يأتي المفعول المطلق لتأكيد العامل أو بيان العدد أو بيان النوع.
- ينوب عن المصدر الواقع مفعولا مطلق مرادفه ، اسم المصدر ، صفته ، نوعه ، آلته ، عدده ، الإشارة إليه ، لفظ كل و بعض المضافين إلى المصدر.
- العامل الأصلي في المفعول المطلق هو الفعل ثم المصدر ثم الوصف.
- يحذف عامل المفعول المطلق جوازا و وجوبا وذلك في المفعول المطلق المبين للنوع والمبين للعدد ، أما المفعول المطلق المؤكد للعامل فلا يحذف لا وجوبا ولا جوازا لأنه يراد به التأكيد والتقرير فالحذف ينافي ذلك.
- أن المفعول المطلق هو مصدر منصوب يذكر بعد فعل من لفظه ، والغرض منه توكيد معنى الفعل أو بيان نوعه أو بيان عدده.
- تكمن القيمة الدلالية للمفعول المطلق باختلاف صوره في أن المؤكد للعامل يعمل على تقوية العامل وتقرير معناه ، أما المفعول المطلق المبين للعدد والنوع فهو يأتي للتخصيص.
- يعتبر المفعول المطلق في كتاب فتح الإله ومنته محرك التزكية ، حيث يستخدم لبناء صورة ذهنية مطلقة عن مشايخه ، تجمع بين قوة الحفظ ، وعمق البحث ، وصدق التوجه ، يظهر هذا التحليل تلاحم اللغة مع المنهج العلمي ، مما يجعل الكتاب نموذجا فريدا في الأدب.

اقتراحات البحث:

إجراء مزيدا من البحوث في المفعول المطلق خاصة في القرآن الكريم

6- الهوامش والإحالات:

[1]- ابن يعيش(دت) ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، دط ، مصر ، ج1 ، ص109-110.

[2]- ينظر: ابن عقيل(2012) ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تح: الدكتور ميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، بيروت-لبنان ، ج2 ، ص281.

[3]--ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المصدر السابق ، ص172.

[4]-مصطفى الغلاييني ،(2013) ،جامع الدروس العربية ، دار الهدى ، دط ، عين مليلة الجزائر ، ص439-440.

[5]- ينظر: أحمد مختار عمر(1985) ، علم الدلالة ، مكتبة لسان العرب ،ط1 ، القاهرة ، ص11.

[6]-الشريف الجرجاني(دت) ،التعريفات ، تح: محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، دط ، القاهرة ،ص91.

[7] - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، المصدر السابق ، ص12.
[8] -ستيفين أولمان(دت) ، دور الكلمة في اللغة ، مكتبة الشباب ، د ط ، ص59.
[9] -ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،المصدر السابق ، ص284.
[10] - حسن نورالدين(1996) ، الدليل إلى قواعد اللغة العربية ، دار العلوم العربية ،ط1 ، بيروت لبنان ، ص 182 .
[11] -المرجع نفسه: ص 182.
[12] -عباس حسن ، النحو الوافي ، المصدر السابق ،ص207 .
[13] - عباس حسن ، النحو الوافي ، المصدر السابق ، ص 208.
[14] -السامرائي ، معاني النحو ، المصدر السابق ، ص 160.
[15] - أبو رأس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 46
[16] - المصدر نفسه، ص48.
[17] - المصدر نفسه، ص48.
[18] - المصدر نفسه، ص51.
[19] - المصدر نفسه، ص47.
[20] - المصدر نفسه، ص48.
[21] - المصدر نفسه، ص49.
[22] - المصدر نفسه، ص65.
[23] - المصدر نفسه، ص55.
[24] - المصدر نفسه، ص18.
[25] - المصدر نفسه، ص44.
[26] - المصدر نفسه، ص41.
[27] - المصدر نفسه، ص43.
[28] - المصدر نفسه، ص94.
[29] - المصدر نفسه، ص47.
[30] - المصدر نفسه، ص67.

المصادر والمراجع:

1- أبو رأس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دت.

2- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، مكتبة لسان العرب ،ط1 ، القاهرة ، 1985.

3- حسن نورالدين ، الدليل إلى قواعد اللغة العربية ، دار العلوم العربية ،ط1 ، بيروت لبنان.
السامرائي(2000) ، معاني النحو ، دار الفكر للطباعة ،ط1 ، عمان ، 1996 ، ج2.

4- ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تح: الدكتور ميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، بيروت-لبنان ، 2012 ، ج2

5- الفلاييني ،جامع الدروس العربية ، دار الهدى ، دط ، عين مليلة الجزائر ، 2013.

6- ستيفين أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، مكتبة الشباب ، د ط ، دت.
7- الشريف الجرجاني ،التعريفات ، تح: محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، دط ، القاهرة ، دت.
8- ابن يعيش ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، دط ، مصر ،د ت ، ج1.